النزول والإنزال في القران الكريم

دراسة موضوعية

م.م إبراهيم علي فحل

كلية التربية للبنات – قسم علوم القرآن

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ الإسراء: ١٠٥

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد

أشار البحث إلى معنى النزول لغة وان مادة " نزل " وردت في القرآن الكريم مئتين وخمساً وتسعين مرة في أربعة وأربعين تصريفاً وان لفظ النزول في القرآن الكريم ورد على ثلاثة أنواع:

١- نزول مقيد بأنه من الله جل وعلا، وهذا لم يرد إلا خاصاً بالقرآن الكريم كقوله تعالى:﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ السجدة:٢

٢- نزول مقيد بأنه من السماء وهذا يشمل نزول الملائكة، ونزول العذاب ونزول المطر من السحاب وغير ذلك كقوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ (الرعد:١٧).

٣- نزول مطلق عام لا يختص بنوع خاص كقوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ الحديد:٢٥.

وبين البحث أن هناك من فرق بين نزل وأنزل. فجعل التنزيل للتكثير، والإنزال للمرة الواحدة. كما تعرض البحث لمذاهب العلماء في تنزلات القرآن الكريم وأدلتهم، وأن أشهرها وأرجحها هو أن للقرآن الكريم تنزلان نزول جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وكان ذلك في ليلة القدر وهي الليلة المباركة من شهر رمضان. ونزول تنجيم على الرسول صلى الله عليه وسلم في نحو ثلاث وعشرين سنة. والقول الثاني أن للقرآن نزولاً واحداً هو النزول المباشر على الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر وهي الليلة المباركة من شهر رمضان.

وذكر البحث أن أكثر نزول القرآن الكريم كان نهاراً حضراً وقد نزل يسير منه في السفر وقليل منه في الليل وأما يوم نزوله فكان يوم الاثنين.

وأما اشهره فقيل إنه في شهر ربيع الاول قيل في أوله وقيل في ثامنه سنة إحدى وأربعين من عام الفيل، وقد جعله ابن القيم قول الأكثرين. وقيل في الثاني عشر منه. والمشهور أنه في رمضان قال ابن كثير: والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان.

وأخيراً هذا جهدي فان بلغت الصواب وان أخطأت فمن رشح نفسي. والحمد لله رب العالمين.

النزول في اللغة

جاءت مادة "نزل" في اللغة بتصريفات كثيرة: نزل، وأنزل، وتنزل، ونزّل.. وغير ذلك.

كما جاءت هذه المادة بكثرة في القرآن الكريم بتصريفاتها المختلفة حيث بلغت أربعة وأربعين تصريفاً في (٢٩٥) آية.[١]

فيقال نزل فلان من الجبل، ونزل عن والنزول في الأصل: انحطاط من علو إلى سفل.[٢] الدابة، ويطلق على الحلول فيقال: نزل فلان في المدينة أي حل بها، والإنزال: الإحلال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٩.

ويتعدى فعل "نَزَل" اللازم: بالحرف كقولك: نزلت به نازلة. وبالهمزة، كقولك: أنزل الله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم.[٣]

[٤]والمنزل: موضع النزول، والمنزلة مثله، هي أيضاً المكانة

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ الواقعة:٩٢.

والنُّزل: ما يعد للنازل من الزاد.[٥]

النزول في القرآن الكريم

ورد لفظ " النزول" في القرآن الكريم، على ثلاثة أنواع:[٦]

النوع الأول: نزول مقيد بأنه من الله جل وعلا.

النوع الثاني: نزول مقيد بأنه من السماء.

النوع الثالث: نزول مطلق غير مقيد بهذا أو بذاك.

فالنوع الأول وهو المقيد بأنه من عند الله تعالى اختص بالقرآن الكريم فلم يرد إلا معه في آيات كثيرة، كقوله تعالى:

١- ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ النحل:١٠٢.

٢- ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (٧).

٣- ﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ غافر: ١،٢.

٤- ﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ سورة فصلت: ١،٢

٥- ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة السجدة: ٢.

٦- ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٨]

وهذا التنصيص بأنه من الله جل وعلا وتخصيص القرآن بذلك له دلائله: ففيه بيان أنه منزل من الله لا من مخلوق من مخلوقات الله. كما تقول بذلك بعض الطوائف. وفيه بيان بطلان القول بخلق القرآن. وبطلان القول بأنه فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال أو غير ذلك من أقاويل أهل الكلام والفلسفة.(٩)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية مستدلاً بصريح الآيات السابقة: "فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد ولا غيرهما..."(١٠)

واختيار مادة النزول وما تصرف منها للكلام عن مصدر القرآن الكريم فيه تشريف وتكريم لهذا الكتاب وبيان علو منزلته كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ ﴾ الزخرف: ١-٤

فالنزول لا يكون إلا من علو.

وأما النوع الثاني، وهو النزول المقيد بانه من السماء. فيتناول نزول المطر من السحاب، ونزول العذاب، ونزول الملائكة من عند الله. وغير ذلك.

فقد ورد في آيات كثيرة ذكر إنزال الماء من السماء. كقوله تعالى:

١- ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ ﴾ البقرة: ٢٢.

٢- ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ البقرة:١٦٤.

٣- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ الأنعام:٩٩.

٤- ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ ﴾ الرعد:١٧.

٥- ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۗ ﴾ النحل:٦٥. وغيرها كثير.

والمراد بالسماء في هذه الآيات: السحاب أو مطلق العلو حيث فُسّر في قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴾ الواقعة:٦٩.

وجاء في إنزال العذاب من السماء قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ البقرة:٥٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ العنكبوت:٣٤

والرجز هو العذاب.

وقال تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ الشعراء:٤

وفسرت " الآية" هنا بما عظم من الأمور القاهرة، أو ما ظهر من الدلائل الواضحة.(١١)

وقال تعالى في إنزال الملائكة من السماء: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء:٩٥

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ (يس:٢٨)

وأما النوع الثالث، وهو الإنزال المطلق فهو عام لا يختص بنوع خاص من الإنزال. من ذلك قوله سبحانه:

١- ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ الحديد:٢٥

فقد فسر قوله {وأنزلنا} بجعلنا، وأظهرنا وخلقنا.(١٢)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (...وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لأنه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته. فإن الحديد إنما خلق من المعادن- ثم ربط هذا المعنى بأصل الإنزال لغة فقال- : والمعادن إنما تكون في الجبال فالحديد ينزله الله من معادنه التي(١٣) في الجبال لينتفع به بنو آدم)(١٤)

الفرق بين الإنزال والتنزيل

ذهب إلى القول بالفرق بين اللفظتين جمع من اللغويين والمفسرين فهو قول الواحدي، والزمخشري، والراغب الأصفهاني، والسمين الحلبي، وابن الزبير الغرناطي، وغيرهم.(١٥)

وذلك استدلالاً بالآيات التي فرقت بين اللفظتين حين ذكرت نزول الكتب السماوية وجمعت بينها، كقوله تعالى في سورة آل عمران﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ آل عمران: ١ – ٤

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة النساء:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ١٣٦

يقول الواحدي عند تفسيره لقوله تعالى في سورة آل عمران: {نزل عليك الكتاب بالحق} لأن التنزيل للتكثير، والقرآن نزل نجوماً، شيئاً بعد شيء، قال "نزل" وقال: {وأنزل التوراة والإنجيل} والتوراة والإنجيل نزلتا دفعة واحدة.(١٧)

وقال الجرجاني مفرقاً بين اللفظتين: "الفرق بين الإنزال والتنزيل: الإنزال يستعمل في الدفعة، والتنزيل يستعمل في التدريج".(١٨)

وقال الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى من سورة آل عمران: {نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل} فإن قلت: لم قيل: نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل؟ قلت: لأن القرآن نزل منجماً ونزل الكتابان جملة.(١٩)

وقال الراغب الأصفهاني والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً ومرة بعد أخرى والإنزال عام. فمما ذكر فيه التنزيل قوله تعالى..: {ونزلناه تنزيلاً}(الإسراء:١٠٦) وقوله: {إنا نحن نزلنا الذكر}(الحجر:٩)...

وأما الإنزال فكقوله: {إنا أنزلناه في ليلة القدر}(القدر:١) وإنما خص لفظ الإنزال دون التنزيل لما روي أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا ثم نزل نجماً فنجماً.(٢٠)

وقال ابن الزبير الغرناطي في معرض حديثه عن آية سورة آل عمران السابقة: "إن لفظ نزّل يقتضي التكرار لأجل التضعيف.. فقوله تعالى: {نزل عليك الكتاب} مشير الى تفصيل المنزل وتنجيمه بحسب الدعاوى وأنه لم ينزل دفعه واحدة، أما لفظ أنزل فلا يعطي ذلك إعطاء نزّل وإن كان محتملاً.."(٢١)

ومن هنا قيل: بأن بين اللفظتين فرقاً وأن التعبير القرآني عما نزل دفعة واحدة يأتي بلفظ "أنزل"، وما نزل مفرقاً منجماً يأتي بلفظ "نزل" فاختلاف التعبير دال على اختلاف صفة التنزيل ولذلك لما جمع الله بين القرآن والتوراة والإنجيل في آية سورة آل عمران جاء مع القرآن لفظ نزَّل، ومع التوراة والإنجيل لفظ أنزل للدلالة على ذلك المعنى.

وقد رد أبو حيان القول بالتفريق بين نزّل وأنزل المبني على أن التضعيف في نزّل دليل على الكثير والتنجيم؛ من وجوه:

١– أن التضعيف في نَزّل مفيد لنقل الفعل من اللازم الى المتعدي وليس للتكثير.

٢– أنه لو كان التضعيف في "نزّل" لإفادة التكثير والتنجيم لما جاء قوله تعالى: {وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة}(الفرقان:٣٢) جامعاً بين التضعيف وقوله {جملة واحدة} وهما متنافيان في الدلالة.(٢٢)

٣– إن أدلة عدم الفرق بين اللفظتين وأنهما بمعنى واحد؛ القراءة بالوجهين في كثير مما جاء كذلك. يقول أبو حيان: "ويدل على أنهما بمعنى واحد قراءة من قرأ ما كان من "نزَّل" مشدداً؛

بالتخفيف – إلا ما استثني– فلو كان أحدهما يدل على التنجيم والآخر على النزول دفعة واحدة لتناقض الإخبار وهو محال.(٢٣)

ويؤيد هذا قوله تعالى: {وقرآناً فرقناه} {فَرَقْناه} بالتشديد والتخفيف {فرَّقناه} كما أنه قد جاء مع القرآن أنزل، قال تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر}(النحل:٤٤) يقول سيبويه: "فعّل وأفعل يتعاقبان".

٤–مجيء "نزّل" المضعف في آيات كثيرة بحيث لا يراد منها إفادة التكثير والتنجيم إلا على تأويل متكلف وبعيد جداً كقوله تعالى: {وقالوا لولا نزّل عليه آية من ربه}(الأنعام:٣٧) وقوله: {قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً}(الإسراء) فالمراد هنا مطلق الإنزال لا تكثير المنزل.(٢٤)

ومن أجل هذا ذهب بعضهم إلى جعل هذا التفريق غالباً في استعمال القرآن لا قاعدة مطردة محاولة للجمع بين القولين.(٢٥)

تنزلات القرآن الكريم

القول الأول:

أن للقرآن الكريم تنزلان نزول جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر المباركة من شهر رمضان الكريم، ونزول منجم على الرسول في نحو ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث من بعثته الى وفاته عليه الصلاة والسلام.(٢٦)

القائلون به:

انه أشهر وأصح واليه ذهب قاله ابن عباس وجماعة وقال عنه الزركشي في البرهان:(٢٧) وقال ذلك عنه –ايضاً– القسطلاني(٢٨) في الأكثرون ووصفه ابن حجر(٢٩) بأنه: الصحيح المعتمد وذكر السيوطي أن القرطبي حكى الاجماع على انه نزل جملة واحدة لطائف الاشارات.(٣٠)

من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا.(٣١)

وحكاية الاجماع في ذلك لا تصح لوجود المخالف في ذلك وتعدد المذاهب فيه.(٣٢)

أدلته:

١–قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ القدر:١ وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ الدخان:٣ وقوله جل وعلا: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ البقرة:١٨٥ فقد دل ظاهر هذه الآيات الثلاث أن القرآن الكريم أنزل جملة في ليلة واحدة توصف بأنها مباركة من شهر رمضان. وهذا وصف مغاير لصفة نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله

عليه وسلم حيث انه من المعلوم المقطوع به ان القرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم منجماً مفرقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث.

فتعين ان يكون هذا النزول الذي دل عليه ظاهر الآيات نزولاً آخر غير النزول المباشر على النبي صلى الله عليه وسلم. جاءت الأخبار الصحيحة بتبيين مكانه وتوصيف نزوله وأنه جملة الى بيت العزة في السماء الدنيا، وهذه الأخبار هي:

١–قال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: حدثنا يزيد (يعني ابن هارون) عن داود بن أبي هند، عن عكرمة عن ابن عباس: قال: أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة. وقرأ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الاسراء:١٠٦

قال أبو عبيد: ولا أدري كيف قرأ يزيد في حديثه "فرقناه" مشددة أم لا؟ إلا أنه لا ينبغي أن تكون على هذا التفسير إلا بالتشديد "فرَّقناه".(٣٤)

٢–عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: أنزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئاً أوحاه أو أن يحدث منه شيئاً أحدثه.(٣٥)

٣–عن منصور بن المعتمر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس –رضي الله عنهما– في قوله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} قال: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في اثر بعض قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان:٣٢)(٣٦)

٤–عن حسان بن حريث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم ويرتله ترتيلاً.(٣٧)

٥–وعن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان فجعل في بيت العزة.(٣٨)

٦–وعن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان فجعل في بيت العزة، ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة جواب كلام الناس.(٣٩)

٧- عن الربيع بن أنس في قوله: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} قال: أنزل الله القرآن جملة في ليلة القدر كله.

٨- وعن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة، في ليلة واحدة، في ليلة القدر إلى السماء الدنيا حتى رفع في بيت العزة.(٤٠)

٩- عن مقسم عن ابن عباس – رضي الله عنهما- قال: سأله عطيه بن الأسود فقال: إنه وقع في قلبي الشك(٤١) في قوله تعال: {شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن}(البقرة:١٨٥) وقوله: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة}(الدخان:٣) وقوله: {إنا أنزلناه في ليلة القدر}(القدر:١) وقد انزل في شوال، وذي القعدة، وذي الحجة، والمحرم، وشهر ربيع الأول؟ فقال ابن عباس – رضي الله عنهما- :انه انزل في رمضان، وفي ليلة القدر، وفي ليلة مباركة؛ جملة واحدة، ثم انزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام.(٤٢)

القول الثاني

أن للقرآن نزولاً واحداً هو النزول المنجم على النبي صلى الله عليه وسلم وانه ابتدئ انزاله في ليلة القدر وهي الليلة المباركة من شهر رمضان.(٤٣)

القائلون به:

السخاوي في جمال القراء الشعبي من القائلين بالقول الأول مع ابن عباس وابن جبير. ويؤيد هذا ما أخرجه الطبري في تفسيره عن الشعبي في قوله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} قال: بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا.(٤٤)

وهذا خلاف لما هو مشهور عن الشعبي في هذا، وما أخرجه الطبري عن الشعبي هنا معارض بما رواه عنه – أيضاً- في تفسيره من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي. أنه قال في قوله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} قال: نزل أول القرآن في ليلة القدر.(٤٥)

وقد ذكر أبو شامة عن الشعبي(٤٦) رواية عدها قولاً رابعاً في معنى قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ فعن داود(٤٧) بن أبي هند قال: قلت للشعبي قوله تعالى:(٤٨) ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾أما نزل عليه القرآن في سائر السنة إلا في شهر رمضان؟! قال: بلى، ولكن جبريل كان يعارض محمداً عليهما السلام بما ينزل عليه في سائر السنة شهر رمضان.(٤٩)

فالشعبي هنا نزّل عرضه وإحكامه في رمضان من كل سنة منزلة إنزاله فيه. وهو قول لا يعارض رأيه المشهور بأن المراد ابتداء نزول القرآن. ولذا قال أبو شامة "وإن ضم الى ذلك كونه ابتداء نزوله في شهر رمضان ظهرت قوته(٥٠) – أي قوة القول ووجه ذكر شهر رمضان لإنزال

القرآن– قال ابن حجر: (والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة. كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه عنه أبو عبيد وابن شيبة بإسناد صحيح".[٥١]

أدلته:[٥٢]

١– الواقع الفعلي لنزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم وانه نزل منجماً مفرقاً حسب الحوادث والوقائع على نحو من ثلاث وعشرين سنة.

٢– قوله تعالى: {وقرآناً فرقناه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا} (الإسراء:١٠٦) فصريح القرآن، وواقع نزوله يدل على تنجيمه وتفريقه.

٣– أن الآيات الثلاث الواردة في وصف نزول القرآن المراد بها ابتداء نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم وانه ابتدأ نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان وهي ليلة مباركة وفي هذا جمع بين هذه الآيات وقوله تعالى: {وقرآناً فرقناه على الناس على مكث}.

٤– أن ما جاء من الآثار الدالة على نزول القرآن جملة واحدة الى بيت العزة في السماء الدنيا وإن كانت صحيحة الإسناد فهي موقوفة على ابن عباس وغير متواترة. وهذه مسألة غيبية عقدية ولا يؤخذ في الغيبات إلا بما تواتر يقيناً في الكتاب والسنة فصحة الإسناد لا تكفي وحدها لوجوب اعتقاده. فكيف وقد نطق القرآن بخلافه.![٥٣]

القول الثالث:

أنه أنزل الى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر في كل ليلة قدر ينزل ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً مدة بعثته عليه الصلاة والسلام.

القائلون به:

مقاتل بن حيان، وأبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي، قاله ابن جريج،[٥٤] وقال بنحوه مقاتل بن سليمان.[٥٥]

ونسبه السيوطي للفخر الرازي[٥٦] وهي نسبة غير محررة فقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره هذا القول وجعله محتملاً، وتوقف في الترجيح بينه وبين القول بنزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ ثم نزوله منجماً بعد ذلك. لكنه في موضع آخر وبعد صفحة واحدة رجح القول الثاني. فقال: ".. التنزيل مختص بالنزول على سبيل التدريج والإنزال مختص بما يكون النزول فيه دفعة واحدة، ولهذا قال الله تعالى: {نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل} إذا تبت هذا فنقول: لما كان المراد ههنا من قوله تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن} نزل

من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.[٥٧] لا جرم ذكره بلفظ الإنزال دون التنزيل[٥٨] وهذا يدل على أن هذا القول راجح على سائر الأقول.[٥٩]

وهي نسبة غير محررة كما ينسب هذا القول في كثير من كتب علوم القرآن للماوردي[٦٠] من حيث تحديد القول، وتعيين القائل.[٦١]

وهذا القول ضعيف قال عنه ابن حجر: "وهذا أورده ابن الأنباري من طريق ضعيفة[٦٢] وقال عنه القرطبي: "قلت: وقول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع" أن ومنقطعة أيضاً" وحكاية القرطبي للإجماع هنا غير مسلمة لما علمته من الأقوال في ذلك.[٦٣]

القول الرابع:

هذا القول هو ما ورد في تفسير الماوردي، وقد ذكره عن ابن عباس فهو رواية عن ابن عباس، وليس قولاً للماوردي، وعبارته في تفسيره: "قوله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} فيه وجهان: أحدهما: يعني جبريل، أنزله الله في ليلة القدر بما نزل به من الوحي. الثاني: يعني القرآن، وفيه قولان: أحدهما ما روي عن ابن عباس قال: نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل في عشرين ليلة ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة. وكان ينزل على مواقع النجوم إرسالاً[٦٤] –ثم قال– القول الثاني: أن الله تعالى ابتدأ بإنزاله في ليلة القدر. قال في الشهور والأيام وبهذا النص يتبين أنه قول مغاير لما قبله، وأنه رواية عن ابن عباس وليس قولاً الشعبي[٦٥] للماوردي إلا أن يكون نسب إله لأنه ذكره ولم يتعقبه. ولا يكفي هذا في جعله قولاً له ولذا كانت عبارة ابن حجر أدق وأصوب حين قال: "وحكى الماوردي في تفسير ليلة القدر، ثم ذكره ومثل ذلك عبارة أبي شامة حيث قال: "وذكر أبو شامة وأعقبه بقوله عنه "وهذا –أيضاً– غريب"[٦٦] ثم أورده. ابو الحسن الماوردي في تفسيره وهو قول مردود لأنه ليس بين الله وجبريل واسطة في تلقي القرآن الكريم.

يقول ابن العربي متعقباً هذا القول: "ومن جهلة المفسرين أنهم قالوا: إن السفرة ألقته إلى جبريل في عشرين ليلة وألقاه جبريل على محمد عليهما السلام في عشرين سنة وهذا باطل،[٦٧] ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليهما واسطة".[٦٨]

وقد نقل أبو شامة في المرشد الوجيز عن تفسير علي بن سهل النيسابوري عن جماعة من العلماء أن جبريل هو من أملاه على السفرة. قال: "قال جماعة من العلماء: تنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت يقال له بيت العزة، فحفظه جبريل عليه السلام، وغشى

على أهل السماوات من هيبة كلام الله فمر بهم جبريل وقد أفاقوا فقالوا: يعني القرآن وهو معنى قوله: {حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق}(سورة سبأ: ٢٣) فأتى به جبريل إلى بيت العزة فأملاه جبريل على السفرة الكتبة. يعني الملائكة[٦٩] وهو قوله تعالى: {بأيدي سفرة كرام بررة} (سورة عبس: ١٥-١٦)

وذهب إلى هذا المعنى من إملاء جبريل القرآن لفى السفرة جمال القراءلعلم الدين السخاوي في جمال القرآن في معرض حديثه عن حكمة إنزاله جملة فقال: "..وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل عليه السلام بإملائه على السفرة الكرام البررة – عليهم السلام– وإنساخهم إياه، وتلاوتهم له فيكون قولاً خامساً.[٧٠]

وقد حاول ابن عقيلة المكي الإجابة عما تضمنه ذلك الخبر من عدم أخذ جبريل للقرآن من الله. فقال بعد أن ساق الخبر:

".. فهذا يقضي أن جبريل ما أخذه إلا عن السفرة. قلت: لا تنافي، لاحتمال أن جبريل عليه السلام سمعه من الله سبحانه وتعالى كما تقدم بصفة التجلي فعلمه جميعه ثم أمره الله أن يأخذه من اللوح المحفوظ فيضعه في بيت العزة عند السفرة، ثم أمر الله سبحانه وتعالى السفرة أن تنجمه على جبريل عليه السلام في عشرين ليلة لكل سنة ليلة وإنما كان التنجيم من السفرة على جبريل لما ذكره الحكيم الترمذي: إن سر وضع القرآن في السماء الدنيا ليدخل في حدها لأنه رحمة لأهلها. فأخذ جبريل عن السفرة إشارة إلى أنه صار مخصوصاً بهم فلا يؤخذ إلا عنهم.."[٧١]

وفي كون جبريل عليه السلام يأخذ القرآن إلى السفرة ثم يأخذه منهم؛ نظر. أي نظر في الصفة لا في الصلة. فإن صلة السفرة بالقرآن ظاهرة من قوله تعالى: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ عبس: ١٣-١٦)٠

الترجيح:

الاتفاق حاصل والإجماع قائم على صفة نزول القرآن الكريم المباشر على الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه نزل منجماً مفرقاً من بعثته صلى الله عليه وسلم إلى قرب وفاته ينزل أحياناً ابتداء بغير سبب وهو أكثر القرآن الكريم وأحياناً أخرى ينزل مرتبطاً بالأحداث والوقائع والأسباب.

وأما نزوله جملة فهو ظاهر القرآن في قوله تعالى: {شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن}وقوله سبحانه: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} وقوله: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة} فهو أنزل في ليلة أسمها ليلة القدر، وصفتها أنها مباركة، وشهرها شهر رمضان. وهو صريح الأخبار الواردة عن ابن عباس، والتي لها حكم الرفع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وما دام أن النزول جملة لا يعارض صراحة النزول السابق، ولا يرتبط به من خلال تلك النصوص. بل هو نزول خاص، ووجود معين حيث القرآن الكريم كلام الله ومنزل من عند الله يتلقاه جبريل عليه السلام من الله بلا واسطة عند نزوله به على الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة.

وإن كان قد نزل به إلى بيت العزة فذلك نزول خاص. وأحد تنزلات القرآن الكريم المتعددة. حيث يوجد القرآن الكريم في اللوح المحفوظ.(٧٢)

وقال تعالى: {إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون}(الواقعة:٧٧-٧٩) وقال سبحانه: {وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم}(الزخرف:٤)

ويوجد –أيضاً– في الصحف المطهرة الموجودة في أيدي الكرام البررة من الملائكة كما قال تعالى: {كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام برررة}(عبس:١١-١٦)

ويوجد –كذلك– في بيت العزة من السماء الدنيا كما دلت على ذلك الأخبار عن ابن عباس. وجائز أن يكون الوجودان الأخيران مختلفين متغايرين وجائز أن يكونا وجوداً واحداً بأن يكون القرءن الكريم في تلك الصحف في بيت العزة وبأيدي أولئك الملائكة الكرام كما يوجد في الأرض بنزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم والنزول مقترن بما عدا الأول من الوجودات المذكورة.

يقول البيهيقي –رحمه الله– : "وقوله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} يريد به والله أعلم إنا أسمعناه الملك، وأفهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع فيكون الملك منتقلاً به من علو إلى سفل".(٧٣)

حكمة نزول القرآن الكريم جملة:

التمست بعض الحكم لنزول القرآن جملة إلى السماء الدنيا فقيل:

إن فيه تفخيم شأن المنزل وهو القرآن الكريم، وتعظيم قدر من سوف ينزل عليه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكريم من سوف ينزل إليهم وهم المسلمون. وذلك بإعلام سكان السماوات بأن هذا القرآن آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم.(٧٤)

يقول السخاوي في جمال القراء:

"فإن قيل: ما في إنزاله إلى السماء الدنيا؟ قلت: في ذلك تكريم بني آدم، وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله عز وجل بهم، ورحمته لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة لما أنزل سورة الأنعام أن تزفها.

وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل عليه السلام بإملائه على السفرة الكرام البررة – عليهم السلام– وانساخهم إياه، وتلاوتهم له وفيه أيضاً إعلام عباده من الملائكة وغيرهم أنه علام الغيوب لا يغرب عنه شيء إذ كان في هذا الكتاب العزيز ذكر الأشياء قبل وقوعها".

وفيه من الحكم أيضاً تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية الأخرى وذلك بأن جمع الله له النزولين جملة واحدة، والنزول مفرقاً وبذلك شارك الكتب السابقة في صفة وتميز عنها في الصفة الثانية. سواء قيل بنزول الكتب السابقة جملة أو مفرقة، ففي اجتماع الصفتين تميز للقرآن الكريم، ولمن نزل عليه، ولمن نزل إليهم.(٧٥)

يقول السخاوي: "وفيه أيضاً التسوية بينه وبين موسى عليه السلام في إنزال كتابه جملة، والتفضيل لمحمد صلى الله عليه وسلم في إنزاله عليه منجماً ليحفظه. قال الله عز وجل: {سنقرئك فلا تنسى} (الأعلى:٦) وقال عز وجل: {كذلك لنثبت به فؤادك}(الفرقان: ٣٢)(٧٦)

وقت نزول القرآن الكريم:

أكثر نزول القرآن الكريم نهاراً حضراً، وقد نزل يسير منه في السفر وقليل منه في الليل، وقد تتبع العلماء ذلك فذكروا ما وقفوا عليه منه، فمن ذلك:

ما نزل في الثلاثة الذين خلفوا في قوله تعالى: {لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار...}(التوبة:١١٨) ففي الصحيح من حديث كعب: فأنزل الله توبتنا حين بقي الثلث الأخير من الليل.(٧٧)

ومنه سورة "المنافقون" فقد أخرج الترمذي عن زيد بن أرقم أنها نزلت في غزوة تبوك.(٧٨) وذكر ابن اسحاق أنها نزلت في غزوة بني المصطلق.

ومنه سورتا المعوذتين فعن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنزلت الليلة آيات لم ير مثلهن: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس".(٧٩)

ومنه قوله تعالى في سورة المائدة (٦٧): {والله يعصمك من الناس} فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال لهم: يا أيها الناس {والله يعصمك من الناس} انصرفوا فقد عصمني الله"(٨٠)

قال ابن عقيلة: وكان ذلك في غزوة ذات الرقاع. وأخرج الطبراني عن عصمة بن مالك الخطمي قال: كنا نحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل حتى نزلت. فترك الحرس.(٨١) فدلت هاتان الروايتان أنها نزلت في السفر ليلاً.

وقد ذكر أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري (ت٤٠٦) في كتابه التنبيه على فضل علوم القرآن من وجوه شرف علوم القرآن؛ معرفة تفصيل نزول القرآن الكريم زماناً، ومكاناً، وأوصافاً. فقال:

"من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي فب المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى الحبشة، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما اختلف فيه فقال بعضهم: مدني، وقال بعضهم: مكي، فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها، ويميز بينها، لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى".(٨٢)

وقد فسرت وفصلت هذه الأنواع مع التمثيل لها بما وردت به الروايات في البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، والزيادة والإحسان لأبن عقيلة المكي مما لا حاجه معه لزيادة الكلام في بسطه ونقله.(٨٣)

وما ذكره النيسابوري هنا من وجوب معرفة هذه الأنواع والتمييز بينها وجعل ذلك شرطاً للتفسير لا يسلم له وفيه نظر. فليس كله مما له أثر في التفسير.

مدة نـزول القرآن الكريم:

اختلف العلماء في تحديد مدة نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم على أقوال:

١- أنها ثماني عشرة سنة. روي هذا القول غير المشتهر عن الحسن. وأنه كان يقول ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة. وأنه أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ثماني سنين في مكة قبل الهجرة وعشر سنين بعدها.(٨٤)

وهو قول ضعيف ينتج عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي عن ثمان وخمسين سنة وهو ما لم يقل به أحد. ولذا قال ابن عطية عن هذا القول: "وهذا قول مختل لا يصح عن الحسن والله اعلم".(٨٥)

٢- أنها عشرون سنة: روي عن ابن عباس، وعكرمة، والشعبي وقتادة، واختاره ابن جزي الكلبي.(٨٦)

٣- أنها ثلاث وعشرون سنة. وهو قول الجمهور.(٨٧)

٤- أنها خمس وعشرون سنة. وهو قول من يذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش خمساً وستين سنة خلافاً للمشهور.(٨٨)

والمعتمد كما يقول ابن حجر أنه صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثاً وستين سنة وأن ما ورد مما يخالف ذلك فهو محمول إما على إلغاء الكسر في السنين أو جبر الكسر في الشهور.(٨٩)

وأضاف ابن كثير معنى جديداً في الجمع وهو: اعتبار قرن جبريل بالرسول صلى الله عليه وسلم في نزول الوحي حيث روي أنه قرن به عليه السلام ميكائيل في ابتداء الأمر. يلقي إليه الكلمة والشيء ثم قرن به جبريل.(٩٠)

كما أنه بعث صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة. كما قال النووي: "واتفقوا أنه صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وبمكة قبل النبوة أربعين سنة وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة. والصحيح أنها ثلاث عشرة فيكون عمره ثلاثاً وستين وهذا الذي ذكرناه أنه بعث على رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء".(٩١)

وقد حاول الشيخ محمد الخضري اختيار تحديد دقيق للمدة فذكر أن مدة مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة هي اثنتا عشرة سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة عشر يوماً من يوم ١٧رمضان سنة ٤١ من ميلاده الشريف إلى أول ربيع الأول سنة ٥٤منه.

ومدة إقامته بالمدينة بعد الهجرة هي تسع سنوات، وتسعة أشهر، وتسعة أيام من أول ربيع الأول سنة ٤٥ إلى تاسع ذي الحجة سنة ٦٣ من ميلاده الشريف، وهي سنة عشر من هجرته صلى الله عليه وسلم. فصارت المدة بين مبتدأ التنزيل ومختتمه اثنتان وعشرون سنة وشهران واثنان وعشرون يوماً.(٩٢)

ثم ذهب فيه مذهب القائلين بأن آخر ما نزل من القرآن هو آية: {اليوم أكملت لكم دينكم}(المائدة:٣) وذلك في تاسع ذي الحجة سنة عشر من الهجرة، وسترى في مبحث آخر ما نزل القرآن أن هذا المذهب غير صحيح.(٩٣)

ومما يعترض به على هذا التحديد أن يوم الفرقان ١٧رمضان هو يوم الجمعة يقول الخضري عن يوم الفرقان، ويوم ابتداء إنزال القرآن الكريم (...فهما متحدان في الوصف، وهو أنهما جميعاً يوافقان الجمعة ١٧رمضان وإن لم يكونا في سنة واحدة).

والقول بأن يوم ابتداء إنزال القرآن يوافق يوم الجمعة معارض لما ثبت في صحيح مسلم عن يوم الاثنين وقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه: "ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت – أو انزل علي فيه".(٩٤)

كما حدد الشيخ محمد محمد أبو شهبة مدة نزول القرآن الكريم بأنها اثنتان وعشرون سنة وخمسة أشهر، ونصف الشهر. راعى في هذا التحديد ما ذهب إليه الجمهور من أنه صلى الله عليه وسلم ولد في الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل، وتوفي في الثاني عشر أيضاً من ربيع الأول عام إحدى عشر من الهجرة.(٩٥)

وبين ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم نبئ على رأس الأربعين من ميلاده الشريف وذلك من الثاني عشر من ربيع الأول وقد بدئ الوحي إليه بالرؤيا الصادقة ومكث على ذلك(٩٦) إلى السابع عشر من رمضان وجملة ذلك ستة أشهر وخمسة أيام حين نزل عليه صدر سورة إقرأ. وآخر آية نزلت عليه من القرآن هي قوله تعالى: {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله..}(البقرة: ٢٨١) وقد روي أن ذلك قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بتسعة أيام، وقيل بأحد عشر يوماً، وقيل بواحد وعشرين يوماً فلو أخذنا بالمتوسط تكون جملة المدة التي لم ينزل فيها القرآن ستة أشهر وستة عشر يوماً. وجملة عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون عاماً، ومدة نبوته ثلاث وعشرون سنة فإذا أنقصنا منها ستة أشهر وستة عشر يوماً يكون الباقي اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً.

ثم قال أبو شهبة بعد هذا معبراً عن فرحه به: والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ثم انتقد حساب الخضري السابق بأنه بني على أن آخر آية نزلت هي قوله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم..}(المائدة:٣)الآية.

وما ذكره أبو شهبة –رحمه الله– من تحديد فيه نظر كذلك. إذ جعل يوم السابع عشر من رمضان بداية إنزال القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تقدم أنه يوافق يوم الجمعة – على قول الخضري– وأنه بهذا يعارض ما ثبت في الصحيح.

وكذلك أنه بناه على الأخذ بأحد الأقوال في مدة بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد آخر آية نزلت عليه دون دراسة ترجيحية له.فيبقى ملخص القول أن المدة نحواً من ثلاث وعشرين سنة تقريباً لا تحديداً.(٩٧)

يوم إنزال القرآن:

الصحيح أن أول يوم أنزل فيه القرآن هو يوم الاثنين. لحديث أبي قتادة الأنصاري الصحيح، وفيه: وسئل عن صوم يوم الاثنين. قال: "ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت – أو أنزل عليّ فيه"[٩٨] وفي رواية أخرى: ..فقال: "فيه ولدت، وفيه أنزل علي" وأخرج الواحدي عن أبي قتادة أن رجلاً قال لرسول الله: أرأيت صوم يوم الاثنين: "قال فيه انزل عليّ القرآن"[٩٩]

وذكر البلقيني أنه يوم الاثنين نهاراً. قال الواحدي: وأول يوم أنزل القرآن فيه يوم الاثنين.[١٠٠]

وقال ابن كثير: وهكذا، ولذا قال ابن القيم: ولا خلاف أن مبعثه كان يوم الاثنين.

قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء أنه – عليه الصلاة والسلام– أوحي إليه يوم الاثنين. وهذا ما لا خلاف فيه بينهم".[١٠١]

الخاتمة

بعد صحبة لاتمل في متعة لامنتهى لحلاوتها مع شى من رحاب القران الكريم ان لرحلتنا ان تنتهي ، وان للمداد ان جف على الورق وقبل ان احط الرحال لابد من وقفة قصيرة اضع بين يدي القارى حصاد رحلة قص المسافر فيها واتسع الميدان،وانا لمثلي على قلة الزاد ،وضعف الخبرة وجهد المكدود ان اكون من كتاب الله – عزوجل– الذي لا تنقض عجائبه بمكان الناظر المتامل اللهم اغفر لي جراتي وتجاوز عن هفوتي ،اما الحصاد فعلى قدر همة الحاصد وان تبارك الزرع والثمر.وبعد هذه الجولة التي قضيناهاعبر مراحل هذا البحث ظهرت لنا عدة نتائج تناثرت بين طيات هذا البحث نذكرها فيما ياتي:

وردت في القرآن الكريم مئتين وخمساً وتسعين مرة في أربعة وأربعين تصريفاً.وبين البحث أن هناك من فرق بين نزل وأنزل. فجعل التنزيل للتكثير، والإنزال للمرة الواحدة.كما عرض البحث لمذاهب العلماء في تنزلات القرآن الكريم وأدلتهم، وأن أشهرها وأرجحها أن للقرآن الكريم تنزلان نزول جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وكان ذلك في ليلة القدر وهي الليلة المباركة من شهر رمضان.

وذكر البحث أن أكثر نزول القرآن الكريم كان نهاراً حضراً وقد نزل يسير منه في السفر وقليل منه في الليل وأما يوم نزوله فكان يوم الاثنين.

(١) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، وضع مجمع اللغة العربية، مادة نزل (٥٠٩/٢) ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، د.إسماعيل إبراهيم (٢٢٧).

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني (٧٤٤).

(٣) انظر: المصباح المنير (٧٣٤)، وتاج العروس، مادة "نزل" (١٣٢/٨) –بتصرف–.

(٤) المرجع السابق.

(٥) مفردات الراغب (٧٤٥).

(٦) انظر: الفتاوى لأبن تيمية (١١٨،٢٤٦/١٢)، وشرح العقيدة الطحاوية لأبن أبي العز (١٩٦/١) والتبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للشيخ طاهر الجزائري (٦٤).

(٧) في ثلاثة مواضع: سورة الزمر/١، وسورة الجاثية/٢، وسورة الأحقاف/٢.

(٨) في موضعين: سورة الواقعة/٨٠، وسورة الحاقة/٤٣.

(٩) انظر: الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (١٢٠/١٢).

(١٠) المصدر السابق (١٢٦/١٢).

(١١) انظر: تفسير الماوردي (١٦٥/٤).

(١٢) انظر: تفسير الماوردي (١٥/٥).

(١٣) انظر تفسير الماوردي (٤٨٣/٥).

(١٤) الفتاوى (٢٥٤/١٢)، وانظر (١١٨/١٢).

(١٥) كالقرطبي في تفسيره (٥/٤)، وأبي السعود (٤/٢)، وبيان الحق النيسابوري في كتابه وضح البرهان في مشكلات القرآن (٢٣٣/١).

(١٦) كالقرطبي في تفسيره (٥/٤) وأبي السعود (٤/٢)، وبيان الحق النيسابوري في كتابه وضع البرهان في مشكلات القرآن (٢٣٣/١).

(١٧) البسيط للواحدي، (١٥٢)، رسالة دكتواره للباحث: أحمد محمد صالح الحمادي، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(١٨) التعريفات للجرجاني (٧٣).

(١٩) الكشاف (٤١١/١).

(٢٠) مفردات الراغب، مادة نزل (٧٤٤) –بتصرف– وبصائر ذوي التميز للفيروزأبادي (٤٠/٥).

(٢١) ملاك التأويل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (٢٨٦/١) تحقيق: د.سعيد الفلاح.

(٢٢) انظر: البحر المحيط (١٠٣/٢) والتحرير والتنوير (١٤٨/٣) وفتح الرحمن بكشف ما يلبس من القرآن لزكريا الأنصاري (١٩٧).

(٢٣) البحر المحيط (٣٧٨/٢)، والدر المصون (٢١/٣).
(٢٤) انظر: البحر المحيط (٣٧٨/٢) والدر المصون (٢١/٣).
(٢٥) انظر: المدخل لدراسة القرآن للشيخ محمد محمد أبو شهبة (٤٩).
(٢٦) المصدر نفسه.
(٢٧) انظر: البرهان للزركشي (٢٢٨/١)، والاتقان للسيوطي (١٤٦/١-).
(٢٨) البرهان (٢٢٨/١).
(٢٩) فتح الباري (٤/٩).
(٣٠) لطائف الإشارات للقسطلاني (٢٢).
(٣١) الإتقان (١٤٨/١)، ومناهل العرفان (٣٩/١)، تفسير القرطبي (٢٩٧/٢).
(٣٢) وقد حكى ابن حجر عن شيخه البلقين معنى غريباً في نزول القرآن جملة لم يتابع عليه وذلك عند بيان معنى قول جبريل عليه السلام -للنبي- صلى الله عليه وسلم في بدء الوحي: اقرأ. فقيل: "أي القدر الذي أقرأه إياه وهي الآيات الأولى من {اقرأ باسم ربك} ويحتمل أن يكون جملى القرآن، وعلى هذا يكون القرآن نزل جملة واحدة باعتبار ونزل منجماً باعتبار آخر. قال: وفي احضاره له جملة واحدة إشارة الى أن آخره يكمل باعتبار الجملة ثم تكمل باعتبار التفصيل)، فتح الباري (٣٥٧/١٢).
(٣٣) اخرجه ابو عبيد في فضائل القرآن (٣٦٨) وانظر طبعة المغرب بتحقيق أحمد الخياطي (٢٠٢/٢) واخرجه الحاكم في المستدرك (٢٢٢/٢) و(٣٦٨/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وأخرجه البيهيقي في الأسماء والصفات (٣٦٨/١) وشعب الإيمان (٤١٥/٢) رقم٢٢٤٩، والنسائي في التفسير (١٣١/٢) رقم ٣٩٢ وقال المحقق صحيح. وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧٨/١٥) و(٢٥٨/٣٠)، وانظر: فضائل القرآن للنسائي (٥٩)، وابن الضريس (٧٢). والمرشد الوجيز (١٤-) وذكره ابن كثير في فضائل القرآن (٦) عن أبي عبيد ثم قال: هذا اسناد صحيح.
(٣٤) قراءة الجمهور بالتخفيف، بالتشديد أبي، وعبد الله بن مسعود وعلي وابن عباس، وأبو رجاء وغيرهم. انظر تفسير ابن جرير (١٧٨/١٥)، والبحر المحيط (٨٧/٦). ومعجم القراءات القرآنية (٣٤٢/٣).
(٣٥) اخرجه النسائي في فضائل القرآن (٥٩)، والبيهيقي في الأسماء والصفات (٣٦٨/١). والحاكم في المستدرك (٢٢٢/٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وأخرجه ابن الضريس بنحوه في فضائل القرآن (١٧-).
(٣٦) اخرجه البيهيقس في الأسماء والصفات (٣٦٧/١) وفي شعب الايمان (٣٢٠/٣) رقم (٣٦٥٩)، والحاكم في المستدرك (٢٢٢/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. وابن الضريس في فضائل القرآن (٧٢). وذكره ابو شامة في المرشد الوجيز (١٧) وذكر السيوطي -نحوه- في الدر المنثور

وزاد نسبته لابن جرير وابن مردويه ومحمد بن نصر والطبراني واخرجه النسائي في تفسيره (٥٣٩/٢) رقم (٧٠٩) وقال المحقق: صحيح.

(٣٧) اخرجه البيهقي في الاسماء والصفات (٣٦٨/١)، والطبراني في الكبير (٢٦/١٢) رقم ١٢٣٨١، والحاكم في المستدرك (٢٢٣/٢) وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. واخرجه النسائي في فضائل القرآن (٥٩–٦٠) وزاد في آخره: قال سفيان: خمس آيات، ونحوها. وانظر المرشد الوجيز لأبي شامة (٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور بنحوه (٤٥٧/١) وزاد نسبته للفريابي وابن جرير ومحمد بن نصر وابن مردويه والضياء المقدسي في المختارة. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٧/٧) وقال: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف.

(٣٨) اخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٢).

(٣٩) اخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٥٧/١) ولم ينسبه لغير ابن الضريس.

(٤٠) اخرجه عبد بن حميد كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٦٧/٨).

(٤١) اخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ونسبه للطبراني والبزاز.

(٤٢) رسلاً: قطعة قطعة وفرقة فرقة. انظر: حاشية تفسير الطبري (٤٤٦/٣).

(٤٣) انظر البرهان للزركشي (٢٢٨/١–) والإتقان للسيوطي (١٣٨/١) والمرشد الوجيز (٢٠) وتفسير القرطبي (١٣٠/٢٠).

(٤٤) انظر البرهان للزركشي (٢٢٩)، والإتقان للسيوطي (١٤٨/١) والمرشد الوجيز (٢٠) وتفسير الماوردي (٣١٢/٦) بتحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم والثعالبي (٤٣٠/٤).

(٤٥) نسبه له الفخر الرازي في تفسيره (٨٥/٥).

(٤٦) انظر تفسيره (٩٤/١) حيث قال: ({الذي أنزل فيه القرآن} أي ابتدئ فيه إنزاله وكان في ليلة القدر..) وأشار إلى الإنزال جملة بصيغة التضعيف في تفسير سورة القدر (٣٧٠/٤) فقال: (روي أنه أنزل جملة..).

(٤٧) ينظر جمال القراء للسخاوي (٢٠/١).

(٤٨) تفسير الطبري (١٤٥/٢) (٤٤٧/٣) (٢٥٨/٣٠).

(٤٩) المرشد الوجيز (٢١).

(٥٠) المصدر السابق (٢٤).

(٥١) فتح الباري (٥/٩).

(٥٢) راجع مناقشة هذه الأدلة في مبحث الترجيح ص(٣٨).

(٥٣) انظر: مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح. (٥١) وتفسير جزء "عم" للشيخ محمد عبده ص(١٢٢) ط. بولاق. والمدخل لدراسة القرآن الكريم (٥٢). وراجع ص(٣٨).

(٥٤) انظر: تفسير الطبري (٤٤٧/٣). وتفسير ابي الليث السمرقندي (٥٦٣/١) والدر المنثور للسيوطي (٤٥٧/١).

(٥٥) قاله في كتابه المناهج (٢٣٤/٢-) وانظر: البرهان (١،٢٢٩) ولطائف الإشارات للقسطلاني (٢٢/١)، والمرشد الوجيز (١٩).

(٥٦) انظر: الإتقان للسيوطي (١٤٨/١)، والزيادة والإحسان لأبن عقيلة المكي (٢١٥/١) بتحقيق د.محمد صفاء حقي. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين. الرياض.

(٥٧) انظر: حاشية المرشد الوجيز بتحقيق طيار آلتي قولاج (١٨). وتفسير مقاتل بن سليمان (٢٢/١خ)، وتفسير أبي الليث السمرقندي (٥٦٢/١).

(٥٨) انظر الإتقان (١٤٨/١).

(٥٩) تفسير الفخر الرازي (٨٥/٥).

(٦٠) انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة (١٨،١٩)، والبرهان (٢٢٩/١)، والإتقان (١٤٨/١)، والزيادة والإحسان لأبن عقيلة (٢١٥/١).

(٦١) انظر الكلام على القول الرابع لاحقاً. ص(٢٥).

(٦٢) فتح الباري (٤/٩)، ونقله القسطلاني في لطائف الإشارات (٢٢/١).

(٦٣) تفسير القرطبي (٢٩٨/٢)، وانظر الإتقان (١٤٨/١).

(٦٤) أخرجه -بنحوه- ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس. وانظر الزيادة والإحسان (١٧٢،٢١٨/١).

(٦٥) تفسير الماوردي: النكت والعيون (٣١١/٦-) بتحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

(٦٦) انظر فتح الباري لابن حجر (٤/٩-)، ونقل القسطلاني كلام ابن حجر في كتابه لطائف الإشارات (٢٢/١).

(٦٧) المرشد الوجيز لأبي شامة (١٩).

(٦٨) أحكام القرآن لأبن العربي (١٩٦١/٤-) وانظر تفسير القرطبي (١٣٠/٢٠).

(٦٩) المرشد الوجيز (٢٣)، وانظر تفسير القرطبي (١٣٠/٢٠).

(٧٠) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي (٢٠/١).

(٧١) الزيادة والإحسان لأبن عقيلة (١٧٢/١) بتحقيق: د.محمد صفاء حقي.

(٧٢) عدّ الشيخ عبد العظيم الزرقاني هذا الوجود تنزلاً. وجعله التنزل الأول والصواب أنه وجود إذ لم يرد لفظ النزول مقترناً به فلا يصح أن يعد نزولاً أو تنزلاً. وانظر: المدخل لدراسة القرآن للشيخ محمد أبو شهبة (٤٧).

(٧٣) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (٣٦٢/١).

(٧٤) انظر: المرشد الوجيز (٢٤).

(٧٥) جمال القراء للسخاوي (٢٠/١)، وانظر: المرشد الوجيز (٢٧) والاتقان للسيوطي (١٤٩/١).

(٧٦) جمال القراء للسخاوي (٢٠/١). وانظر ما استحسنه أبو شامة فنقله من كلام للحكيم الترمذي في تفسيره بهذا الشأن. المرشد الوجيز (٢٦).

(٧٧) من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى لقد تاب الله على النبي.. ٢٠٩/٦، وفي المغازي باب حديث كعب بن مالك، ١٣٠/٥ وأخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب، ٢١٢/٤ رقم ٢٧٦٩.

(٧٨) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة المنافقين، (٨٩/٥) رقم ٣٣٦٩ وقال حديث حسن صحيح. انظر السيرة النبوية لأبن كثير (٣٠٠/٣).

(٧٩) اخرجه مسلم في صحيحه (٥٥٨/١) حديث رقم ٨١٤.

(٨٠) اخرجه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير باب ومن سورة المائدة (٢٥١/٥) حديث رقم ٣٠٤٦، وقال عنه: حديث غريب. وأخرجه الحاكم في المستدرك وصحيحه، ووافقه الذهبي (٣١٣/٢) وذكره نحوه الواحدي في أسباب النزول (١٩٥–).

(٨١) انظر الزيادة والإحسان (٣٢٦/١)، وقد أخرجه ابن أبي حاتم عن جابر كذلك (٣١٨/١). ذكره السيوطي في الإتقان (٨٣/١).

(٨٢) التنبيه على فضل علوم القرآن. لأبي القاسم النيسابوري. منشور في مجلة المورد العراقية. بتحقيق محمد عبد الكريم كاظم. عدد (٤)، مجلد (١٧) عام ١٤٠٩هـ . الصفحات (٣٠٥– ٣٢٢).

(٨٣) انظر البرهان للزركشاني (١٩٢/١)، والإتقان للسيوطي (٣٦/١–) والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (٢٦٣/١).

(٨٤) انظر تفسير ابن جرير (١٧٩/١٥–١٨٠)، وابن عطية (٣٧٥/١٠)، وابن الجوزي (٥/١)، وأبي حيان (٨٧/٦)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٧٤).

(٨٥) تفسير ابن عطية (٣٥٧/١٠).

(٨٦) تفسير ابن جزي الكلبي (٦،٤/١/ ٢١٠) وانظر المصادر السابقة.

(٨٧) انظر البرهان (٢٢٨/١)، والإتقان (١٤٦/١) وانظر علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، رسالة دكتوراه، د.محمد صفاء حقي، (٤١٢/٢).

(٨٨) المرجع السابق.

(٨٩) انظر فتح الباري (٤/٩).

(٩٠) فضائل القرآن الكريم لأبن كثير (٣٦).

(٩١) شرح صحيح مسلم للنووي (٩٩/١٥)، وانظر الزيادة والإحسان (٢٥٢/١).

(٩٢) انظر تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الخضري بك. ص٨ وتاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني ص٧١. فقد ذكر تحديد الفترة المكية كما هنا.

(٩٣) الراجح في آخر ما نزل قوله تعالى: {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون}(البقرة:٢٨١).

(٩٤) مناهل العرفان (٤٥/١).

(٩٥) تاريخ التشريع ص(٧،٦).

(٩٦) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل (٨١٩/٢) رقم (١١٦٢). وراجع ص(٤٩).

(٩٧) المدخل لدراسة القرآن الكريم. (٥٦،٥٥).

(٩٨) اخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل. كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام، حديث ١١٦٢، (٨١٩/٢).

(٩٩) صحيح مسلم (٨٢٠/٢).

(١٠٠) اسباب النزول للواحدي، (١٣-١٤).

(١٠١) السيرة النبوية لأبن كثير (٣٩٢/١)